جهاد اسماعيل هارون
دائرة الآثار العامة

جهاد اسماعيل هارون

العمونيون: استغلال الأراضي في العصر الحديدي الثاني

مقدمة

لقد سطر العمونيين ذكراهم في الكثير من المخلفات التي تركوها لنا والتي تمثل بعضا من أصولهم، لغتهم، حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فالغموض لا يزال يكتنف بعض هذه المخلفات. فقد ورد ذكر العمونيين في التوراة بحوالي (١٠٦) موضع (Block 1984: 198) فتحدثت عن أصولهم وحروبهم وأسماء ملوكهم، فدلالة اسم بني عمون الواردة في التوارة هي أثنية ولكنها تمثل دليلا واضحا على دور العمونيين الحضاري في إثبات وجودهم (المومني ١٩٩٦: ١٠). في حين جاءت المصادر الآشورية – البابلية لتلقي بعض الضوء خاصة منذ حكم شلمناصر الثالث ٨٥٨–٨٢٤ ق.م (أبوطالب ١٩٧٨: ٨٠)، إضافة إلى الكتابات العمونية وهي قليلة نوعا ما لكنها سلطت الضوء على تاريخ العمونين.

فالمصادر التاريخية اختلفت حول أصولهم ولكن الشواهد تؤكد بداية استقرارهم حول منابع نهر الزرقاء بعد قدومهم من شمال سوريا هربا من الاضطرابات التي حدثت خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م، واختيارهم لمنطقة حوض نهر الزرقاء هو دليل على وجود تجارب زراعية وتجارية تمتعوا بها من قبل (Grimal 1995: 222).

جغرافية أراضي المملكة العمونية

إن الأراضي التي امتدت عليها المملكة العمونية كانت متميزة بتنوعها الجغرافي والمناخي كالجبال والوديان والسهول وحتى أجزاء من الأغوار. فحدودها من نهر الزرقاء شمالا وحتى أطراف مأدبا جنوبا إلى تل المزار غربا. إن حدود المملكة العمونية لا زالت غير معروفة فبعض الباحثين يعتقدون بأن الحد الجنوبي وصل إلى منطقة الوالة (Herr 1999: 221) فهي تحوي أراض خصبة كانت مدعاة لاستقطاب العمران (البحيري ١٩٩٤: ٦١) إضافة إلى وفرة الأمطار فقد جرت المياه في بعض أودية المنطقة وأكبرها نهر الزرقاء (البحيري ١٩٩٤: ٦٢). أما عن الحالة المناخية فقد كانت شبه مستقرة منذ العصر الحديدي، فنسب هطول الأمطار تتراوح ما بين ٣٠٠ – ٥٠٠ملم (Herr 1997: 354).

أما التربة الأكثر انتشارا في المملكة العمونية فهي تربة البحر المتوسط الحمراء (Terra Rosa) وهي تتميز بقدرتها على الاحتفاظ بالمياه والرطوبة لأطول فترة ممكنة وتصلح للزراعة (LaBianca 1986: 57).

الحالة السياسية والعسكرية خلال العصر الحديدي الثاني

إن سيطرة الدولة الآشورية وبسط نفوذها على مناطق شاسعة رغبة منها في الحفاظ على محاور المواصلات والطرق التجارية، إضافة لانقسام مملكة إسرائيل الموحدة والتي كانت تشكل عاملا لعدم الاستقرار في المنطقة، فرض هذا نوعا من الاستقرار السياسي والعسكري خلال العصر الحديدي الثاني، فدان ميزان القوى للآشوريين في هذه الفترة، فجاء الازدهار الاقتصادي المربوط دائما بالاستقرار السياسي، وأبلغ دليل على هذا الازدهار هو دفع المملكة العمونية ٢ مينا من الذهب كضريبة للدولة الآشورية (Oppenhiem 1974: 301).

فاستغل العمونيين هذه الحالة المتميزة باتجاهات مختلفة مجملة بما يلي:

- زيادة رقعة الأراضي الزراعية.
- إقامة المنشآت العمائرية بكافة أشكالها.
- الاهتمام بزيادة الإنتاج الزراعي وتربية المواشي.
- زيادة النشاط التجاري.

استغلال الأرضي

جاء استغلال الأراضي في مملكة عمون بأشكال متعددة منها الاستغلال الزراعي والسكني والتجاري والمائي.

فالنمو المفاجئ في أعداد السكان والازدهار الذي شهدته فترة العصر الحديدي الثاني (LaBianca 1990: 137) قد رافقه ازدياد في المنشآت المعمارية بدءا من ربة عمون المدينة الملكية التي ورد ذكرها في التوراة (صموئيل الثاني ٢٦:١٢–٢٧) ومرورا بما عرف بالأبراج العمونية الدائرية والأبنية المربعة والتي أختلف العلماء بتأريخها، فمنهم من أعادها إلى العصور الحجرية (Mackenzie 1911: 38) والآخر إلى العصر الروماني (Condor 1889: 111-112). في حين أظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت في عدد من مواقع هذا النمط المعماري أن إطارها الزمني يمتد من نهاية العصر الحديدي الأول إلى العصر الحديدي الثاني (Younker 1989: 196; Yassine 1988: 14-17) و(النجار ١٩٩٢: ٤٢٠).

وجاء الاختلاف الثاني حول ماهية استخدام هذه الأبراج وهل هي عسكرية دفاعية أم سكنية زراعية؟ ولكن الاكتشافات الحديثة في

خلدا (النجار ١٩٩٢: ٤٢٠) وجبل الزهور (عجاج ١٩٩٣: ٥) والمبرك (الزبن ٢٠٠٢: ١٨) (Younker 1989: 196) جاءت لتؤكد على أن هذه الأبراج تمثل نمطا معماريا ذو استخدامات زراعية وسكنية وصناعية مثل أبو نصير (Abu Shmais 2003: 8) وهذا لا يمنع من وجود استخدام عسكري، إضافة إلى وجود بعض الأبراج في مواقع تفتقر إلى الأهمية الإستراتيجية مثل خربة بدران ورجم الحنو الغربي (Kletter 1991: 39) وحتى مباني تل العميري مقامة على منحدرات وليس لها أهمية استراتيجية (Younker 1989: 195) فقد استطاع العمونيين استغلال الأرض لإقامة هذه المنشآت بشكل متوازن وجاء الاختيار بأشكال متعددة كإقامة المباني بجانب الأراضي الزراعية وعلى التلال والمنحدرات وعلى أطراف الوديان كصوامع لتخزين المنتوجات الزراعية (النجار ١٩٩٢: ٤١٢) أي على الأراضي الأقل خصوبة مثل (خلدا وابونصير والزهور والمبرك ورجم الملفوف الشمالي) وأحيانا في حالات نادرة جداً في وسط الأراضي الزراعية مثل خربة المضمار في سهل البقعة، ولكن كل هذا فرضته ضرورة تنظيم المجتمع الزراعي (MacGovern1992:180) لان سهل البقعة منطقة واسعة ومفتوحة من عدة جهات كمباني تل العميري (Herr 1999: 233) ومن أمثلة إقامة العمائر على محاور المواصلات والطرق التجارية مستوطنة أم الدنانير وتقع على الطريق الذي يتجه نحو الغرب إلى الأغوار (MacDonald 1994:58) وتل صافوط (Glueck 1939:168) وخربة الحجار ذات الموقع المميز على الخط التجاري القادم من الجنوب إلى الشمال (Thompson 2000: 483).

إن طريقة بناء هذه العمائر تعطينا دلائل واضحة على الكيفية التي تعامل بها العمونيين مع البيئة المحيطة فاستخدموا الحجارة المتوفرة كالحجارة الصوانية الضخمة وغير المشذبة المتوفرة على السطح بكثرة في كل من أم صويوينية (الزهور) ورجم الملفوف الشمالي وخلدا، والحجارة الكلسية مثل قصر الوسيه (Glueck 1939: 156)، أو صوانية وكلسية معاً مثل مبنى خلدا الشرقي (المومني ١٩٩٦: ٧٧)، إضافة إلى استخدام الصخر الطبيعي كأساسات لهذه المباني (MacDonald 1994: 58).

كما أقام العمونيون المباني بالقرب من مصادر المياه مثل مدينة المياه العمونية التي أشارت لها التوراة (صموئيل الثاني ٢٦:١٢-٢٧) وخربة الحجار التي تشرف على التقاء سيل حسبان مع مياه الكفرين (Thompson 2000: 483).

ومجمل القول إن الأبراج العمونية والبالغ عددها ١٣٠موقعا (المومني ١٩٩٦: ٩٣) تظهر كوحدات سكنية منتجة وتتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي ضمن نمط سكني يوازن ما بين الأرض ومتطلبات الإنسان الأساسية.

استغلال الأراضي للزراعة

"الكرم والحدائق وقناة الماء والآبار – فليفرح ويبتهج بأيام عديدة وسنين مديدة" كلمات نقشت على قارورة تل سيران (Zayadine and Thompson1989: 170, 1973: 129-130) لتعبر عن الاستغلال الأمثل للمياه ومهارتهم في الزراعة وهذا ربما عائد لأصولهم الشمالية (Grimal 1995: 222-250). حيث كانت الزراعة تقوم على استغلال منابع المياه والأراضي الصالحة للزراعة وإزالة بعض الأجزاء من الغابات لزيادة رقعة الأراضي الزراعية، فأراضي المملكة العمونية واستنادا إلى نوعية التربة ونسبة هطول الأمطار قد زادت من نسبة الأراضي الصالحة للزراعة، إضافة إلى الغابات الحرجية مثل أشجار الصنوبر والبلوط التي كانت تغطي بعض أجزاء الأراضي العمونية (Geraty 1989: 195).

لقد عرف الإنسان القديم عملية الاندماج ما بين البيئة المحيطة واحتياجاته (Geraty 1989: 40) وأثبتت الدراسات الأثرية على أن الإنسان العموني لم يقم بإزالة الغابات الحرجية لزرع الأشجار المثمرة بل على العكس زرع الأشجار المثمرة داخل الغابات الحرجية (Geraty 1989: 37)، فهذا استغلال بيئي متميز.

كما استغل العمونيون الأراضي المنحدرة والوديان بإقامة المصاطب الزراعية التي تحافظ على المياه والتربة من الانجراف (Herr 1997: 354) فانتشرت المصاطب الزراعية بشكل واسع في العصر الحديدي الثاني (Christopherson 1996: 6).

كما انتشرت زراعة المنحدرات والجبال بالأشجار المثمرة مثل العنب والزيتون، فقد أثبتت الدراسات الأثرية على أن زراعة الزيتون كانت مزدهرة في العصر الحديدي الثاني حيث بلغت نسبة بقايا الزيتون ٧٥٪ من مجمل البقايا النباتية التي عثر عليها في محيط منطقة حسبان (LaBianca 1990: 146) أما العنب فقد كان إنتاجه أكثر من حاجة المجتمع المحلي وكان يصدر على شكل نبيذ (Geraty 1989: 196) وفي نهاية العصر الحديدي الثاني دفعت المملكة العمونية الضريبة المفروضة عليها إلى البلاط الفارسي على شكل نبيذ (Herr 1999: 233)، وفي خلدا عثر على كميات من بذور العنب والزيتون (النجار ١٩٩٢: ٤١٤).

كما عثر على العديد من المعاصر في كل من خلدا (النجار ١٩٩٢: ٤١٨) وتل العميري وحسبان، إضافة إلى انتشار جرار النبيذ المختومة والمعدة للتصدير (Herr 1999: 232).

أما المناطق السهلية فقد زرعت بالحبوب مثل العدس والقمح والشعير (Geraty1989: 196) .

الإنتاج الحيواني: إن الدراسات العلمية التي تمت في حسبان والعميري ومحيطيهما على مخلفات العظام الحيوانية، دلت على وجود عدد كبير من الحيوانات الأليفة والماشية (LaBinca 1990: 145; Geraty 1989: 197) كما عثر أيضا على عدد كبير من ثقالات المغازل في مواقع العصر الحديدي الثاني (Abu-Shmais 2003: 6) مما يظهر ازدهار صناعة النسيج في هذه

الفترة فمادة الصوف متوفرة وأدوات النسج موجودة أيضا.

كما أقام العمونيين الآبار والقنوات وقد ورد ذكر مدينة عمون المائية في التوراة (صموئيل الثاني ٢٦:١٢-٢٧) وأقاموا السدود لحجز المياه في كل من منطقة العميري (LaBinca 1990: 149) وجبل القلعة حيث عثر على الكثير من أبار جمع المياه.

استغلال الطرق التجارية

لقد ساعد موقع المملكة العمونية الاستراتيجي على الطريق التجاري المميز (Herr 1999: 224) على جعلها دولة قوية فاستغلت الأرضي المحيطة بالطريق التجاري من خلال إقامة المباني كمحطات للقوافل على محاور الطرق التجارية مثل تل صافوط (Glueck 1939: 163) وأم الدنانير وتل سيران وجبل الزهور، كما اقيمت المنشآت الصناعية مثل أبو نصير بالقرب من الطريق التجاري القادم من الجنوب إلى الشمال (Abu Shmais 2003: 8)، إضافة إلى تخصيص جزء من المباني لخزن المنتجات الزراعية مثل زيت الزيتون والحبوب مثل موقع المبرك (الزبن ٢٠٠٢: ١٨).

الخلاصة

إن التوازن البيئي الذي اعتمده الإنسان العموني كان متميزا من خلال عدم إزالة الغابات الحرجية واستغلال الأرض الزراعية وإقامة المباني المعمارية على الأراضي الأقل خصوبة والمصاطب الزراعية على المنحدرات الجبلية وزراعة المحاصيل الزراعية الاستراتيجية المربحة مثل الزيتون والعنب وإقامة المعاصر لاستكمال عملية الإنتاج، واستغلال المصادر المائية وبناء السدود والآبار والقنوات، كذلك استغلال الطريق التجاري وإقامة المباني الزراعية والصناعية ومحطات للقوافل.

أحسنت المملكة العمونية استغلال مواردها الطبيعية من خلال الزراعة والتجارة فجنت الكثير من الأموال ويظهر ذلك من مقدار الضريبة التي كانت تدفعه للدولة الآشورية حتى أنها دفعت ٢ مينا من الذهب في حين دفعت جارتها المملكة المؤابية ١ مينا من الذهب.

المراجع

أبو طالب، محمود

١٩٧٨ **آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة.** أضواء جديدة ١٩٥٢-١٩٧٧، عمان : وزارة الثقافة والشباب.

البحيري، صلاح الدين

١٩٩٤ **الأردن، دراسة جغرافية.** منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان.

الزبن، إبراهيم

٢٠٠٢ نتائج التنقيب الأثري في المبرك. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٦: ١٤-١٨.

عجاج، احمد وهارون، جهاد

١٩٩٤ تقرير أولي عن نتائج التنقيب الأثري في أم صويوينية، تقرير غير منشور. قسم المعلومات والتوثيق الأثري.

المومني، احمد

١٩٩٦ **العمونيون.** رسالة ماجستير غير منشورة: الجامعة الأردنية .

النجار، محمد

١٩٩٢ تقرير أولي حول نتائج التنقيبات الأثرية في خلدا / عمان. **حولية دائرة الآثار العامة** ٣٦: ٤٠٩-٤٢٠.

Abu-Shmais, A.

2003 A new Discovery in Ammonite Site Rujom Abu Nusair. The 2nd International Conference on Science & Technology in Archaeology, The Hashemite Univ: Jordan.

Condor, M.C.R.

1889 The Survey of the Eastern Palestine, Memoirs of the Topography, Orography, Archaeology, etc, the Adwan Country. Committee of the Palestine Exploration Fund: London.

Christopherson, G.

1996 GIS & Archaeology Using ARC/INFO to Increase Our Understanding of Ancient Jordan. ARC/INFO user Conference.

Glueck, N.

1939 *Exploration in Eastern Palestine,* III. AASOR 18-19. New Haven.

1970. The Other Side of the Jordan. *AASOR*. USA: Cambridge.

Herr, L.

1997. *Madaba Plains Project.* USA: Andrews University.

1999 *The Ammonite in the Late Iron Age & Persian Period, Ancient Ammon.* edit by Burton MacDonald, Netherlands

Geraty, L.

1989 *Madaba Plains Project.* USA: Andrews University.

Grimal, N

1995 *A History of Ancient Egypt.* Trans. By Ian Shaw: Blackwell, Oxford-UK and Cambridge –USA.

Kilter, R.

1991 The Rujm El-Malfuf Buildings and the Assyrian Vassal State of Ammon. *BASOR* 284: 33-50.

LaBianca, O.

1990 *Sedentarization & Nomadization Hesban I.* Andrews University: USA

1986 *Environmental Foundations, Hesban 2.* USA: Andrews University.

London, G.

1997 *Ancient Ammonite & Modern Arabs.* USA: Andrews Univ..

MacDonald, B. and Younker, R.

1999 *Ancient Ammonite.* Koninklijke: Netherlands.

Mackenzie, D.
1911 The Megalithic Monuments of Rabbath Ammon at Amman. *PEF*1: 1-40.
McGovern, P.
1989 Settlement Patterns of the Bronze and Iron Ages in the Greater Amman Area. *SHAJ* 4: 179-183.
Thompson, H.O. and Zayadine, F.
1973 The Tell Siran Inscription. *BASOR* 212: 5-11.
Thompson, H.
2000 *Some Towers in Jordan, the Archaeology of Jordan and Beyond.* USA.
Younker, R.W.
1989 Towers in the region Surrounding Tell el-Umeiri. *MPP* 1: 195-198.